موسوعة الحياة الرهبنة السليمة
الإصدار السادس ٢٠٢٤م
الباب الثاني: الرهبنة وفضائلها
إعداد الراهب: أبانوب المحرقي

الراهب: يحفظ أعماله، ويتكل علي نعمة الله

{١} مار إسحق السرياني	{٢} الأنبا إشعياء الإسقيطي	{٣} القديس يوحنا الدرجي
{٤} القديس يوحنا كاسيان	{٥} قديسون أخرون	

{١}
مار إسحق السرياني

📖 كما أنه لا يمكن للإنسان أن يضبط النار المنظورة ويستعملها بالفعل من دون الأجسام التي هي أنواع الوقود، هكذا أيضاً من دون العمل المحسوس بالجسد لا يمكن أن يؤهل الإنسان لنار النعمة الإلهية في قلبه ولا أن يقتني حرارة وقود الحب ومعرفة الله، فإن كنا نهتم بطهارة الضمير ولكننا نبطل الجسد من عمل فلاحة الفضيلة والاهتمام بها، فإن شوكاً وقرطباً ينبتان في حقل ضميرنا عوض الزرع الجيد، لأنه بالنار تُنظف الأرض وبحرارة الأعمال ينقى القلب ويقبل الزرع الطاهر الروحاني، والأعمال التي لأجل الله هي أواني القدس التي توجد فيها النياحة الإلهية، وبها تُقبل النعم الروحانية والمواهب المقدسة والقوات السماوية.

📖 فإن كان لم يزدرِ بالأمور الجسدانية فإنه ما اقتنى الوداعة بعدُ، لأن

محقرة النفس بتمييز يتبعها ألا يرتبط الإنسان بشيء وأن يرفض الراحة والاشتياق إلى الناس، فإن استعد إنسان لقبول الخسارة بفرح من أجل الله، فهو نقيٌّ من الداخل، وإن لم يزدرِ بأحدٍ من أجل العيوب الموجودة فيه، فهو حرٌّ بالحقيقة، وإن لم يُسرّ بمن يكرِّمه ولم يعبِّس وجهه قدام من يهينه، فإنه قد مات حقاً للعالم، فالتحفظ بتمييز هو أفضل من كل تدبير وسيرة تتم بكل نوع وكيفية وبكل مقدار ممكن لدى الناس.

[٢١] اِحترَسْ أيضاً من إيعاز إبليس، الذي في الوقت الذي ينبغي لكَ فيه أن تنتظر الخيرات المزمعة، يُعلِّمك الحَماقات، ويُشير إلى العقبات التي تعترَض طريق المعرفة القويمة، ويضع أمامك أموراً أخرى غريبة تَماماً عن حكمة العناية الإلَهية.

ميامر مار اسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الرابعة ـ صفحة ٧٠٠



قال مار إسحق:

"من اقتني الفضائل العظيمة، مثل: الصوم، والسهر، ولكنه لم يقتني حراسة القلب، واللسان، فإنه في الباطل يتعب، ويعمل".

"إذا وضعت كل أعمال التوبة في ناحية، والحفظ في ناحية أخري، فإن الحفظ يرجح. فإن المسيح وضع قياس الوصايا على أصل الأفكار القلبية، وموسى على الأعمال المحسوسة".

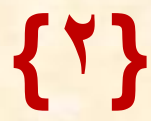
كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٩٢



قال مار إسحق: "ليكن معلوما عندك: أن كل خير لن يكون مقبولاً، إلا إذا عُمل في الخفاء".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٢٩





الأنبا إشعياء الإسقيطي

📖 كالبيت الذي ليس لـه بـاب أو نوافذ فتدخلـه الزواحـف متـى تشـاء، هكذا الذي يعمل وما يصون أعماله.

📖 طوبى للذين لا يتكلون على أعمالهم كأنَها ترضي اللـه، طوبى لمن يخشون ملاقاة اللـه ... لقد عرفوا ضعفهم، ولزموا الحزن والبكاء على نفوسهم، وعدموا الانشغال بالحكم على خليقة اللـه، تلك التي سوف يدينها اللـه بنفسه.

📖 الويل لمن يضيعون زمانَهم وهم يظنون أنَهم بغير خطية، يدوسون ضمائرهم ويرفضون تبكيتها لهم، غير عالمين أنه ليس بالأمر الهين أن ينخدع الإنسان لشيء مهما كان تافهاً، فكما أن الزارع يعتبر كل البذور التي بذرها باطلة ما لم يكمل نضجها، ويغتم على تعبه لأنه لم يعطِ ثمراً، هكذا الإنسان إذا كان يعلم كل الأسرار وكل علم أو يصنع قوات أو أشفيه كثيرة أو يحتمل إماتات عديدة ويتجرد حتى من ملابسه، فهو ما يزال تحت سلطان الخوف ولا يمكنه أن يثق في قلبه لأن أعدائه مازالوا يلاحقونه وينصبون له الفخاخ.

📖 كان آباؤنا الشيوخ يقولون: إن النسك هو الاعتكاف وتأمل المـوت، لكنه من الخطر أن يُترك أحد لينفرد وحده ما لم تكن له أعمال {جهاد} مقابل الخطايا التـي تحيط بنفسـه، وتوبـة قلبيـة عما فعلـه فـي زمان توانيه، وكذلك يؤمن أن اللـه قد غفـر لـه خطايـاه، كمـا يقول لعدوه: إنني لا أتكل على شيء من أتعابي، وإلى أن أقف أمام كرسي القضاء لا أدعي البر، كما وأزدري بمن يهدمون كل بنيان الـنفس، إن توافـق القلب معهم.

📖 قيل في الإنجيل: " كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يـارب أليس باسمك تنبأنا وصنعنا قوات كثيرة " فحينئذٍ يقول لهم: " أنـي لـم

أعرفكم قط " ذلك لأنَهم يباشرون عمل النسك لكنهم لا يحفظونه.

كالبيت الذي ليس له باب يغلق، وكل من أراد يدخل إليه، هكذا هو الذي يصنع عمله وما يحفظه.

السقالة والبناء:

لا يشغلنك التفكير في الأداء الباهر لأعمال النسك الخارجي، فهذه الأعمال رغم أهميتها لا تعدو أن تكون مجرد سقالات تحيط بمبنى يتم تشييده. إنها ليست المبني لأن المبنى هو داخل القلب.

وجه إذن كل اِهتمامك إلى ما يتم داخل القلب.

إن أول تجربة تهاجمك عن طريق الفكر، هي الرضى عن الذات، أو البر الذاتي، وبعد ذلك يأتي الإعجاب الداخلي بالذات، ثم التفاخر والتباهي أمام الآخرين، لذا ينبغي أن تتفهم طبيعة هذه التجارب.

اقرأ وتمعن في أقوال القديس مكاريوس الكبير، واهتم بالذات بكتاب السلم للقديس يوحنا الدرجي، الذي تعرض في مواقع كثيرة منه لموضوع التمييز بين الأفكار.

إن عملا واحد بعينه قد يرضي الرب وقد يثير غضبه، وذلك بحسب الأفكار التي تصحب هذا العمل.

القديس ثؤفان الناسك ـ كتاب فن الصلاة ـ صفحة ٢٦٣



{٣}

القديس يوحنا السلمي

قد تؤول راحة الجسد أحيانا إلى أذكاء قوة العقل، ولا توقد نار الشهوة فينا، بينما إرهاق الجسد أحيانا يحركه علينا، وذلك لئلا نكون متكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يميت بصورة خفية، الشهوة الحية فينا.



{٤}

القديس يوحنا كاسيان

حماية اللـه - للأب شيريمون

بعد فترة قصيرة من النوم عدنا إلـى خدمـة الصـباح، وكنـا ننتظـر الرجل الشيخ، وكان يبدو على الأب جرمـانيوس حيـرة عظيمـة، لأن المنـاظرة السـابقة حملـت قـوة تـوحي إلينـا بشـوق عظـيم نحـو تلـك الطهارة، التي لم تكن معروفة لنا بعد.

وقد أضاف الشيخ الطوباوي عبارة فريدة نزع فيها كل دعوانـا مـن جهة جهاد الإنسان الذاتي، مضيفا أنه وإن جاهد الإنسـان بكـل طاقتـه من أجل الثمرة الصالحة، لكنه لا يقدر أن يسيطر على ما هو صالح، ما لم يطلبه ببساطة من جود اللـه وكرمه، وليس بجهاده الذاتي.

وإذ كنا متحيرين من جهة هذا الأمر، إذ الطوباوي شيريمون يصـل إلى القلاية، فرآنا نتهـامس معـاً، فقلـل مـن خدمـة الصـلاة والمزامير شيئا يسيراً عن المعتاد، وسألنا عن الأمر.

٢- سؤال: لماذا لا ننسب الطهارة إلى جهاد الإنسان؟

جرمانيوس: إذ نحن صامتون من جهة عظمـة تلـك الفضـيلة، التـي وصفتها لنا الليلة الماضية، مؤمنين بفاعليتها، لكنـي أستسمحك القول، بأنه يبدو لي أنه من العبث أن نقول عن الطهارة الكاملة، التـي تُقتنـى بغيرة الإنسـان المجاهد كمكافـأة للجهـاد، أنهـا لا تنسـب رئيسـيا إلـى جهاده.

لأنه من الغباوة أن نرى مثلا مزارعا يحتمل آلاما كثيرة في زراعة أرضه، ولا ننسب الثمار إلى جهاده!



📖 ٣- شيريمون:

📖 يمكننا بنفس المثال الذي قدمته أن نبرهن بالأكثر، أن جهود الإنسان العامل لا تفيد شيئا بغير معونة اللـه.

📖 لأن الزارع حين يحتمل أتعابا كثيرة في زراعة الأرض، لا يقدر أن ينسب كثرة المحصول ووفرة الثمار إلى مجهوده الذاتي.

📖 فقد يضيع كل تعبه هباء لو لم تأته الأمطار، أو يساعده الجو.

📖 وقد نرى الثمار ناضجة فعلا، بل ويحصدها الفلاح ويجنيها، ومع هذا فإن مجهود العاملين يمكن أن يكون بلا نفع، ما لم تسنده عناية اللـه. كذلك الصلاح الإلهي، لا يأتي بالإنتاج الوفير للمزارعين الكسالى الذين لا يحرثون حقولهم على الدوام، كما أنهم قد يتعبون الليل كله بلا جدوى، ما لم تُنجح مراحم الرب أعمالهم.

📖 لكن كبرياء البشرية يجعلها ترفض أن تضع نعمة اللـه مع جهادها على قدم المساواة، ولا أن يختلطا معاً، إنما تظن أنه بمجهودها الذاتي تنال جود اللـه وكرمه، أو أن الثمار هي ثمرة جهادها وحده.

📖 ليتأمل الإنسان جيدا وليتفحص بعناية فائقة، وازنا هذه الحقيقة كما ينبغي، وهي أنه لا يقدر الإنسان حتى أن يستخدم نفس تلك الجهود التي له بغيرة، ما لم يمده الحنو الإلهي بالوسائل لأجل تتميمها.
فقد يفشل الإنسان بسبب كثرة المطر الزائد، أو لانعدامه.

📖 فعندما يهب الرب للثور نشاطا، وقوة جسدية للعمل، ونجاحا في مشروعه، يجدر بالإنسان أن يصلي لئلا يسقط عليه ما قيل في الكتاب المقدس: "وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاسا، والأرض التي تحتك حديداً". "وفضلة القمص أكلها الزحاف، وفضلة الزحاف أكلها الغوغاء، وفضلة الغوغاء أكلها الطيار {القمص هو الجراد في أول خروجه من البيضة، وبعدما يبدأ يزحف يسمى الزحاف، وبعدما ينبت له أجنحة يسمى الغوغاء، وإذ يصير في كامل نضجه يسمى الطيار}" {يؤ ١:٤}.

📖 ولا يحتاج المزارع إلى عناية اللـه لتعينه في مجهوداته أثناء عمله

فحسب، بل وأيضا لكي يتفادى الكوارث غير المنظورة، التي يمكن أن تحل به، والتي أحيانا تصيب الحقل، وهو غني بالمحصول المتوقع. بل وأحيانا يفقد ما قد جمعه فعلا وخزنه في البيدر للدرس أو في المخزن.

📖 من هذا نخلص بوضوح إلى أن البداية لا تتأتى من جهة أعمالنا نحن، بل حتى أفكارنا الصالحة تأتي من الله، الذي يوحي إلينا بإرادة صالحة، نبدأ بها العمل، ويمدنا بفرص لتنفيذ هذه الإرادة الصالحة "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة، من عند أبي الأنوار" {يع١:١٧}.

📖 إنه يبدأ معنا بما هو صالح، ويستمر معنا فيه، ويكمله معنا، وذلك كقول الرسول: "والذي يقدم بذارا للزارع، وخبزا للآكل، سيقدم ويكثر بذاركم وينمي غلات بركم" {٢كو٩:١٠}.

📖 هذا كله من أجلنا نحن، لكن باتضاع نتبع يوما فيوما نعمة الله التي تجذبنا، أما إذا قاومنا نعمته برقبة غليظة، وآذان غير مختونة {أع٧:٥١}، فإننا نستحق كلمات النبي ارميا القائل: "هل يسقطون ولا يقومون؟! أو يرتد أحد ولا يرجع؟! فلماذا ارتد هذا الشعب في أورشليم ارتدادا دائما. تمسكوا بالمكر. أبوا أن يرجعوا؟!" {إر٨:٤،٥}.

📖 **٤ـ اعتراض ـ جرمانيوس:**

📖 إننا نرى الكثير من الوثنيين الذين لم يوهب لهم نعمة الله، سامين لا في فضائل التدبير، والصبر فحسب، بل {وبصورة واضحة} في الطهارة.

📖 فكيف يمكننا أن نحسب أن حرية إرادتهم قد أسرت، وأن فضائلهم وهبت لهم بواسطة نعمة الله، خاصة وأنهم يتبعون حكمة العالم، وينكرون نعمة الله، بل وينكرون وجود الله ذاته؟

📖 فهم ليسوا مثلنا نحن الذين خلال القراءة، وعن طريق الآخرين،

عرفنا نعمة اللـه، أما هم فيقولون إنهم ينالون طهارتهم الفائقة السمو، بجهادهم وتعبهم الزائد؟



٥- شيريمون:

إنني مسرور لأنك قد التهبت بالشوق العظيم لمعرفة الحق، إلا أنك تقدم بعض النقط، وبإثارتك لهذه الاعتراضات تؤكد بالأكثر سمو إيمان الكنيسة الجامعة ... فبالتأكيد أنت تقدم هذه الاعتراضات رغبة في معرفة الحق، لذلك فلتأخذ في اعتبارك هذه الأمور:

يلزمنا أولاً ألا نفكر بأن الفلاسفة قد نالوا طهارة النفس، كتلك التي ننالها نحن، والتي لا تتوقف عند مجرد عدم الزنا، إنما لا يدعى بيننا شيء دنس فقط.

إنما هم لديهم نوع خاص من الطهارة، بمعنى ضبط الجسد، الذي به يقمعون شهواتهم لكيلا ينفذوا اتصالا جسديا.

لكنهم لا ينالون طهارة الذهن الداخلية، ونقاوة الجسد الدائمة، لا من جهة العمل، إنما أيضا من جهة الفكر.

أخيراً فإن سقراط – الذي يعتبرونه – أشهر جميع الفلاسفة يعترف عن نفسه بهذا. إنهم لا يعرفون فضيلة الطهارة التي نبتغيها نحن، لذلك فإن ختاننا الروحي، لا يمكن أن يطلب إلا بنعمة اللـه، ولا يخص إلا الذين يخدمون اللـه بقلب منسحق.

٦- لا يمكننا الجهاد بغير نعمة اللـه:

إن كان في أمور كثيرة، بل بالحق في كل شيء يظهر أن البشر على الدوام محتاجون إلى معونة اللـه، وإن كان الضعف البشري يعجز عن أن يتمم شيئا لخلاصه بذاته وحده، بغير مساعدة اللـه، فإنه يكون ذلك بالأكثر بالنسبة لنوالنا الطهارة والمحافظة عليها.

إن كان الحديث عن صعوبة الطهارة قد طال كثيرا، فلنناقش

باختصار أدواتها.

📖 إنني أسأل: أي إنسان مهما بلغت حرارته في الروح، هل يقدر بقوته الذاتية أن يحتمل قسوة البرية، لا أقول يحتمل نقصا في الضروريات اليومية، بل في مؤونة الخبز الجاف؟

📖 من يستطيع بغير تعزية الله أن يحتمل الظمأ الدائم، أو يحرم عينيه من نوم الصباح اللذيذ، لتصبح كل أوقات راحته ونومه في حدود أربع ساعات؟! من يشعر بالاكتفاء والشبع خلال مثابرته عل القراءة، والسهر الدائم في العمل، وعدم اهتمامه بالربح الزمني ما لم تعينه نعمة الله؟! إذ لا نقدر أن نشتاق إلى مثل هذه الأمور بغير وحي إلهي، فإننا نعجز بأي وسيلة أن ننفذها بغير معونة الله.

📖 وإذ نتأكد من هذا الأمر ليس بحسب ما تمليه علينا خبرتنا، بل وتؤكده الأدلة والبراهين الثابتة، ففي أمور كثيرة لا نشعر بالضعف، ولا تنقصنا المهارة الكاملة، ولا تنقصنا الإرادة، ومع هذا ما لم يوهب لنا بمراحم الرب قوة التنفيذ، ننحرف بعيدا عن هدفنا.

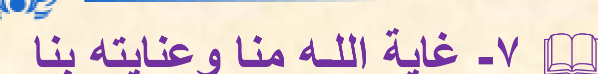
📖 ليس في طاقتنا أن ننال سكون العزلة، ونمارس الأصوام الصعبة، والدراسة المسهبة حتى عندما توجد الفرص المناسبة.

📖 غير أنه كثيرا ما تحدث حوادث غالبا ما تكون ضد إرادتنا على طول الخط، مما يجعلنا نعجز عن تنفيذ قوانيننا التي نحترمها.

📖 لهذا نحن نصلي إلى الرب لكي يهيئ لنا المكان والوقت، حتى نمارس قوانيننا، ولا يكفي هذا، ما لم يهبنا الله فرصة لتنفيذ ما يمكننا صنعه، وذلك كقول الرسول أيضا: "لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مرة ومرتين. وإنما عاقنا الشيطان" {١تس٢:١٨}.

📖 أحيانا يكون من المفيد لنا أن نحرم من التداريب الروحية، حتى أننا بغير رضانا نكسر القوانين المعتادة خاضعين لضعف الجسد، وبهذا

فإننا بغير إرادتنا نتعلم صبرا نافعا.



٧- غاية الله منا وعنايته بنا

لأن غاية الله من خلقته لا أن يهلك الإنسان، بل يحيا إلى الأبد، وهذه الغاية لا تزال كما هي، وإذ يرى أن يشع فينا صلاحه، ولو بشرارة خفيفة من الإرادة الصالحة، فإنه يضرمها كما لو كانت خارجة من الحجر الصوان الصلد الذي لقلوبنا.

إنه يثيرها، ويتعهدها، ويقويها بنسمته "الذي يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" {١تي٢:٤}.

لأنه "هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذي في السماوات، أن يهلك أحد هؤلاء الصغار" {مت١٨:١٤}.

الله صادق ولا يكذب، إذ يقسم قائلا: "حي أنا يقول السيد الرب أني لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا. ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة. فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل؟!" {حز٣٣:١١}.

إنه لا يريد أن يهلك أحد أصاغره، فكيف لا نكون مجدفين إن كنا نتصور أنه لا يريد كل البشر أن يخلصوا، بل بعضهم؟!

فالذين يهلكون إنما يهلكون بغير إرادته، وهو يشهد ضد كل واحد منهم يوما فيوما قائلا: "ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة، فلماذا تموتون" {حز٣٣:١١}.

وأيضا: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" {مت٢٣:٣٧}. "فلماذا ارتد هذا الشعب في أورشليم ارتدادا دائما. تمسكوا بالمكر. أبوا أن يرجعوا" {إر٨:٥}.

إذن نعمة المسيح حاضرة بين أيدينا في كل يوم، وإذ هي تريد أن "جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون".

📖 تدعو الجميع بغير استثناء قائلة: "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" {مت١١:٢٨}.

📖 فلو لم يدعو الجميع بل البعض فقط، لكانت النتيجة أن يكون الكل مثقلا بالخطايا الأصلية {الجدية}، والخطايا الفعلية، وإلا صار القول التالي غير صادق: "إذ الجميع أخطئوا وأعوزهم مجد الله" {رو٣:٢٣}.

وما كنا نصدق أن الموت قد عبر إلى جميع الناس {رو٥:١٢}.

📖 وإذ الهالكون يهلكون بغير إرادة الله، لهذا يمكننا أن نقول بأن الله ليس بصانع الموت، وذلك كشهادة الكتاب المقدس القائل: "إذا ليس الموت من صنع الله، ولا هلاك الأحياء يسره" {حك١:١٣}.

📖 عناية الله في عدم استجابة بعض طلباتنا

📖 لما كانت أغلب صلواتنا ترتفع ليس لأجل صالحنا، بل نسأل العكس، لهذا تتأخر الاستجابة، وأحيانا ترفض طلباتنا.

📖 كذلك يهبنا الرب – كطبيب غاية في الحنو – أن يجلب لنا بغير إرادتنا ما هو لصالحنا، ونحن نظنه عكس هذا.

📖 وأحيانا يعوق اشتياقاتنا المؤذية، ومحاولاتنا المميتة، وبينما نندفع تجاه الموت يردنا إلى الخلاص، وينقذنا بغير معرفتنا من مخالب الجحيم.

📖 ٨- الله المحب والإنسان قاسي القلب!

📖 وصفت الكلمة الإلهية اهتمام الله وعنايته بنا على لسان هوشع النبي تحت رمز أورشليم كزانية، التي انحرفت في غيرة مملوءة جحودا، عندما قالت: "أذهب وراء مُحبيَّ، الذين يعطون خبزي ومائي، صوفي وكتاني، زيتي وأشربتي".

📖 فتجيبها التعزية الإلهية، لا لأجل تحقيق شهواتها، إنما رغبة في

خلاصها فتقول: "لذلك هاأنذا أسيج طريقك بالشوك، وأبني حائطها حتى لا تجد مسالكها. فتتبع محبيها ولا تدركهم، وتفتش عليهم ولا تجدهم. فتقول أذهب وأرجع إلى رجلي الأول، لأنه حينئذ كان خير لي من الآن" {هو٢:٥-٧}.

وقد وصف عنادنا واستهتارنا، إذ نزدري به بروح متمردة عندما يحثنا إلى الرجوع المفيد – وذلك في المقارنة التالية: يقول الله: "قلت تدعينني يا أبي، ومن ورائي لا ترجعين، حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها، هكذا خنتموني" {إر٣:١٩،٢٠}.

فهو يقارن أورشليم {النفس البشرية} بامرأة زانية تطلب رجلا، ويقارن محبته لنا برجل يموت في محبة عروسه.

فصلاح الله ومحبته التي يعلنها على الدوام لكل البشر، لا تغلب إلا بكفنا عن الاهتمام بخلاصنا، وهروبنا من اهتمام الله بنا، كما لو أنها قهرت بشرورنا. لذلك فإنها لا تقارن إلا برجل محترق بنيران الحب من أجل امرأته، إذ يذوب من أجل محبته لها، قدر ما يراها تستخف مستهينه به. إذن الحماية الإلهية حالة معنا على الدوام بغير انفصال.

عظيم هو حنو الخالق تجاه خليقته، الذي لا يرافقها حنوه فحسب، بل ويتقدمها! عندما يرى فينا طيفا خفيفا من بداية الإرادة الصالحة، للحال يلهبه ويقويه، ويتعهده لأجل خلاصنا، فينمي ما غرسه فينا، أو ما يراه قد نشأ عن جهادنا، إذ يقول: "قبلما يدعون أنا أجيب، وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع" {إش٦٥:٢٤}.

وأيضا "يتراءف عليك عند صوت صراخك" {إش٣٠:١٩}.

وفي صلاحه لا يلهمنا بالرغبات المقدسة فحسب، وإنما يخلق لنا فرصا للحياة، وللنتائج الصالحة، ويكشف اتجاه طريق الخلاص للذين ضلوا.



📖 ٩- بين إرادتنا الصالحة ونعمة الله:

📖 لا يستطيع العقل البشري أن يدرك بسهولة، كيف يعطي الرب الذين يسألونه، وكيف يُوجد للذين يطلبون منه، ويفتح للقارعين، بينما من الجانب الآخر يعطي من لم يسألوه، ويبسط يديه لغير المؤمنين، والمجدفين، مناديا ومقدما الدعوة للذين يقاومونه، والمبتعدين عنه، جاذبا البشر نحو خلاصهم، حاملا الذين يرغبون في الخطية إلى ما هو على خلاف رغبته، إذ بصلاحه يقف في طريق المندفعين نحو الشر.

📖 من يقدر بسهولة أن يرى كيف أن تمام خلاصنا يتم بإرادتنا، إذ قيل: "إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض. وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم" {إش١:١٩،٢٠}.

📖 وفي نفس الوقت "ليس لمن يشاء، ولا لمن يسعى، بل لله الذي يرحم" {رو٩:١٦}؟! كيف يكون هذا أن الله "سيجازي كل واحد حسب أعماله" {رو٣:٦}.

📖 وفي نفس الوقت "لأن الله العامل فيكم أن تريدوا، وأن تعملوا من أجل مسرته" {في٢:١٣}. و"لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" {أف٢:٨،٩}؟!

📖 ما هذا أيضا، إذ قيل: "اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. نقوا أيديكم أيها الخطاة، وطهروا قلوبكم يا ذوي الرأيين" {يع٤:٨}.

📖 وفي موضع آخر يقول: "لا يقدر أحد أن يُقبل إلى إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أقيمه في اليوم الأخير" {يو٦:٤٤}؟

ما هذا الذي نجده "مهد سبيل رجلك فتثبت كل طرقك" {أم٤:٢٦}.

📖 بينما نقول في صلواتنا: "سهل قدامي طريقك" {مز٥:٨}.

و"تمسكت خطواتي بآثارك فما زلت قدماي" {مز١٧:٥}؟

📖 وما هذا الذي يدهشنا إذ يقول: "اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي

عصيتم بها، واعملوا لأنفسكم قلبا جديدا، وروحا جديدة، فلماذا تموتون؟" {حز١٨:٣١}.

📖 وهو الذي وعدنا بهذا إذ يقول: "وأعطيكم قلبا واحدا، وأجعل في داخلكم روحا جديدا، وأنزع قلب الحجر من لحمهم، وأعطيهم قلب لحم لكي يسلكوا في فرائضي، ويحفظوا أحكامي ويعملوا بها" {حز١١:١٩،٢٠}؟!

📖 ما هذا الذي يأمرنا به الرب قائلا: "اغسلي من الشر قلبك يا أورشليم لكي تخلصي. إلى متى تبيت في وسطك أفكارك الباطلة؟!" {إر٤:١٤}. بينما يسأله النبي قائلا: "قلبا نقيا أخلق فيَّ يا الله اغسلني فأبيض أكثر من الثلج" {مز٥١}؟! ما هذا الذي قيل: "ازرعوا لأنفسكم نور المعرفة" {هو١٠:١٢}.

📖 وقد قيل عن الله: "المعلم الإنسان معرفة" {مز٩٤:١٠}. "الرب يفتح أعين العمي" {مز١٤٦:٨}. أو ما نقوله في صلواتنا بالنبي: " أنر عيني لئلا أنام نوم الموت " {مز١٣:٣}؟!

📖 في هذا كله إعلان عن نعمة الله وحرية الإرادة، حتى متى رغب إنسان في السلوك في طريق الفضيلة، يقف سائلا مساعدة الرب.

📖 فلا يقدر أن يتمتع بالصحة الجيدة بإرادته، وبرغبته يتحرر من الضعف. لكن الأمر الصالح الذي نتوق إليه من جهة الصحة، لا أناله ما لم يهبه الله الذي يمنحنا متعة الحياة ذاتها، ويقدم لنا الصحة المملوءة نشاطا.

📖 من الواضح أنه خلال سمو الطبيعة التي وهبها لنا صلاح الخالق، أحيانا تثور فينا بداية الإرادة الصالحة، والتي لا نقدر أن نحققها عمليا، أو نتممها بغير قيادة الرب.

📖 ويشهد بذلك الرسول القائل: "فإني أعلم أنه ليس ساكن فيَّ أي في جسدي شئ صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد" {رو٧:١٨}.



🕮 ١٠- بين حرية الإرادة وضعفها:

🕮 يسند الكتاب المقدس حرية الإرادة فيقول: "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة " {أم٤:٢٣}، ويشير الرسول أيضا إلى ضعفها فيقول: " وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع" {في٤:٧}.

🕮 يؤكد داود قوة الإرادة الحرة فيقول: "عطفت قلبي لأصنع فرائضك" {مز١١٩:١١٢}، وهو نفسه يعلمنا عن ضعفها بصلاته قائلا: "أمل قلبي إلى شهادتك لا إلى المكسب {الطمع}" {مز١١٩:٣٦}، وسليمان يقول: "ليميل بقلوبنا إليه لكي نسير في جميع طرقه، ونحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه التي أوصى بها آباءنا" {١مل٨:٥٨}.

🕮 ويشير المرتل إلى قوة إرادتنا في قوله: "حد عن الشر واصنع الخير، اطلب السلامة واسع وراءها" {مز٣٤:١٤}، وتشهد صلواتنا عن ضعفها بقولنا: "اجعل يارب حارسا لفمي. احفظ باب شفتي" {مز١٤١:٣}.

🕮 تظهر أهمية الإرادة من قول الرب: "انحلي من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون" إش٥٢:٢}، ويتغنى النبي بضعفها قائلا: "يطلق الأسرى" {مز١٤٦:٧}، "حللت قيودي. فلك أذبح ذبيحة حمد" {مز١١٦:١٦،١٧}.

🕮 إننا نسمع في الإنجيل الرب ينصحنا أن نأتي إليه سريعا بحرية إرادتنا: "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" {مت١١:١٨}، ويشهد الرب نفسه عن ضعفها بقوله: "لا يقدر أحد أن يقبل إلى إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني" {يو٦:٤٤}.

🕮 يشير الرسول إلى حرية إرادتنا بالقول: "هكذا اركضوا لكي تنالوا" {١كو٩:٢٤}، ويشهد يوحنا المعمدان عن ضعفها بقوله: "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطي من السماء" {يو٣:٢٧}.

🕮 لقد أوصانا أن نحفظ نفوسنا بكل عناية، إذ يقول النبي: "احفظوا نفوسكم"، وبنفس الروح يشهد نبي آخر: "إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلا يسهر الحارس" {مز١٢٧:١}.

🕮 ويكتب الرسول إلى أهل فيلبي مظهرا لهم حرية إرادتهم "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة "، ويردف مظهرا ضعفها: " لأن الله العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة {مسرته}" {في٢:١٢:١٣}.

🕮 ١١- تلازم النعمة مع الإرادة البشرية:

🕮 هكذا فإن مثل هذه الأمور تتشابك معا بلا تمييز ... حتى أن كثيرين ينشغلون بمثل هذه الاستفسارات الصعبة:

🕮 هل الله يظهر حنوه لنا لأننا نظهر بداية إرادتنا الصالحة؟

🕮 أم أن الإرادة الصالحة تبدأ لأن الله يحنو لينا؟

🕮 كثيرون يعتقدون بأحد هذين الرأيين، ويؤكدانه أكثر مما يجب فيسقطون في أخطاء مضادة.

🕮 فإن قلنا أن بداية الإرادة الصالحة هي في سلطاتنا، ماذا نقول عن بولس المضطهد؟ وماذا نقول عن متى العشار؟ إذ سُحب أحدهما إلى الخلاص وهو تواق إلى سفك الدم، ومعاقبة البريء، والآخر سُحب وهو محب للعنف والنهب.

🕮 وإن قلنا أن بداية إرادتنا، تأتي دائما كنتيجة لوحي النعمة الإلهية، فماذا نقول عن إيمان زكا، وصلاح اللص الذي على الصليب، هذين اللذين بإرادتهما اغتصبا ملكوت السموات، ونالا قيادة خاصة بالدعوة؟

🕮 حقاً يبدو أن هاتين الاثنتين: أي نعمة الله، وحرية الإرادة معارضتين لبعضهما، لكن في الحقيقة هما متفقتان معا.

🕮 ونحن نستنتج من نظام الصلاح، أنه يلزمنا أن تكون لنا الاثنتان

معا متشابهتين، فإن نزعنا إحداهما نكون قد كسرنا نظام قانون الكنيسة. فعندما يشاهدنا الله مائلين نحو الخير، يلتقي بنا ويقودنا ويقوينا ... إذ يقول: "يتراءف عليك عند صوت صراخك، حينما يسمع يستجيب لك" {إش٣٠:١٩}.

📖 "وادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني" {مز٥٠:١٥}.

📖 وإذا وجدنا غير راغبين في الخير، أو أننا ننمو في البرود {الروحي}، يثير قلوبنا بنصائح مفيدة، لكيما تتجدد فينا الإرادة الصالحة أو تتكون فينا.

📖 ١٢- يجدر بنا ألا نتطلع إلى الله أنه خلق الإنسان بلا إرادة، أو أنه عاجز عن الصلاح. فلو كان قد سمح له بالإرادة الشريرة، والقدرة على الشر دون الخير، يكون بذلك قد حرمه من الإرادة الحرة، وعندئذ ماذا تعني العبارة التي نطق بها الرب مباشرة بعد سقوطه: "هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر" {تك٣:٢٢}؟

📖 لأننا لا نقدر أن نظن أنه كان قبلا جاهلا للخير تماما، وإلا بهذا يكون الإنسان مخلوقا غير عاقل كالحيوانات العجم، وهذا القول غريب تماما عن الكنيسة الجامعة.

📖 علاوة على هذا فإن سليمان الحكيم يقول: "الله صنع الإنسان مستقيما" {جا٧:٢٩}، بمعنى أنه على الدوام يتمتع بمعرفة الخير وحده، "أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة" {جا٧:٢٩}.

📖 إذ صارت لهم معرفة الخير والشر كما كان من قبل. لقد صار لآدم بعد السقوط معرفة الشر الذي لم يكن يعرفه قبلا، لكنه لم يفقد معرفته للخير الذي كان يعرفه.

📖 أخيراً تكشف كلمات الرسول بوضوح أن البشرية لم تفقد معرفة الخير بعد سقوط آدم، إذ يقول: "لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس

متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبا في قلوبهم، شاهدا أيضا ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة، في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس" {رو٢: ١٤-١٦}.

🕮 بنفس المعنى ينتهر الرب على لسان النبي غير الطبيعيين، الذين اختاروا بإرادتهم عمى اليهود، وخلال عنادهم جلبوا ذلك على أنفسهم "أيها الصم اسمعوا، أيها العمي انظروا لتبصروا، من هو أعمى إلا عبدي، وأصم كرسولي الذي أرسله؟!" {إش٤٢: ١٨، ١٩}.

🕮 وحتى لا ينسبوا عماهم إلى الطبيعة، وليس إلى إرادتهم يقول: "أخرج الشعب الأعمى وله عيون، والأصم وله آذان" {إش٤٣: ٨}، وأيضا "الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون" {إر٥: ٢١}.

🕮 والرب نفسه يقول في الإنجيل: "لأنهم مبصرين ولا يبصرون، وسامعين ولا يسمعون ولا يفهمون" {مت١٣: ١٣}.

🕮 بهذا تتحقق نبوة إشعياء النبي القائل: "اسمعوا سمعا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا، غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه وأطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفي" {إش٦: ٩، ١٠}.

🕮 أخير لكي تدرك أن إمكانية الصلاح كانت موجودة فيهم يوبخ الفريسيين قائلا: "ولماذا لا تحكمون بالحق من قبل نفوسكم؟!" {لو١٢: ٥٧}، وهكذا ما كان يقول الرب هذا، لو لم يعلم أنهم بحكمهم الطبيعي قادرون على تمييز ما هو صالح.

🕮 لهذا يلزمنا مراعاة عدم إشارة كل استحقاقات القديسين إلى الرب، بطريقة لا ننسب فيها للإنسانية إلا ما هو شر وعناد.



📖 وهذا ما ندحضه بشهادة سليمان الحكيم، بل وبشهادة الرب نفسه. لأنه بعد الانتهاء من بناء الهيكل، وفي أثناء الصلاة نطق سليمان بهذا: "وكان في قلب داود أبي أن يبني بيتا لاسم الرب إله إسرائيل. فقال الرب لداود أبي: من أجل أنه كان في قلبك أن تبني بيتا لاسمي قد أحسنت بكونه في قلبك. إلا أنك أنت لا تبني البيت بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لاسمي" {١مل٨:١٧-١٩}.

📖 فهل هذا الفكر، أو هذه الرغبة التي للملك داود، ندعوه فكرا صالحا من الله، أم شريرا من الإنسان؟! فلو كان صالحا ومن الله، ما كان الله يوحي له بهذا الفكر المرفوض؟ ولو أنه فكر شرير من الإنسان، فلماذا مدحه الرب؟ إذن بقي أن هذا الفكر صالح، ومن الإنسان.

📖 هكذا يمكننا أن نتكلم بخصوص أفكارنا اليومية.

📖 فإنه لم يوهب لداود وحده أن يفكر فيما هو صالح، إذ لا نحرم نحن طبيعيا أن نفكر ونتصور أمورا صالحة، إذ لا نشك أنه بالطبيعة توجد فينا بعض بذور الصلاح، أوجدها حنو الخالق في كل نفس.

📖 لكن هذه البذور لا يمكن أن تنمو ما لم يرعها العون الإلهي، وكما يقول الرسول الطوباوي: "إذا ليس الغارس شيئا، ولا الساقي بل الله الذي ينمي" {١كو٣:٧}.

📖 تبقى حرية الإرادة على الدوام في الإنسان، لا نهملها ولا نغالي فيها ... لأنه ما كان للرسول أن يوصي قائلا: "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" لو لم يعلم أنه يمكن للإنسان أن يتقدم في الخلاص، أو يهمله.

📖 لكن لا يتصور البشر أنهم غير محتاجين للعون الإلهي في عمل الخلاص، إذ يكمل: "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل مسرته" {في٢:١٣}. وأيضا "لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة" {١تي٤:١٤}، "أذكرك أن

تضرم أيضا موهبة اللـه التي فيك بوضع يدي" {٢تي١:٦}.

📖 لهذا فإنه في كتابته إلـى أهل كورنثـوس ينصـحهم، ويحـذرهم لـئلا بعدم إثمارهم يظهروا غير مستحقين لنعمة اللـه، قائلا: "نطلب أن لا تقبلوا نعمة اللـه باطلا" {٢كو٦:١}.

📖 لأن قبول النعمة المخلصة لم يفقد سيمون شيئا لأنه قبلهـا بـاطلا، إذ لم يطع وصية بطرس المبارك الـذي قـال لـه: "فتـب مـن شـرك هـذا واطلب إلى اللـه عسى أن يغفر لك فكر قلبك، لأنـي أراك فـي مـرارة المر ورباط الظلم "{أع٨:٢٢،٢٣}.

📖 فالنعمــة تتقـدم إرادة الإنسـان، إذ قيـل: "إلهــي رحمتــه تتقـدمني" {مز٥٩:١٠}. وأيضا يتأخر اللـه لأجل صالحنا، حتـى يختبـر رغباتنـا، عندئذ إرادتنا هي التي تتقدم، إذ قيـل: "فـي الغداة {الصـباح} صـلاتي تتقدمك" {مز٨٨:١٣}.

📖 وهو يدعونا عندما يقول: "طول النهار بسطت يدي إلى شعب معاند ومقاوم" {رو١٠:٢١}. ونحن ندعوه إلينا عندما نقول: "كل يوم بسـطت إليك يدي" {مز٨٨:٩}.

📖 وهو ينتظرنا كقول النبـي: "ولـذلك ينتظـر الـرب ليتـراءف علـيكم" {إش٣٠:١٨}. ونحن ننتظره عندما نقول لـه: "انتظـارا انتظـرت الـرب فمال إلـى" {مز٤٠:١}،

📖 و"رجوت خلاصك يارب ووصاياك عملت" {مز١١٩:١٦٦}.

📖 هو يقوينا عندما يقول: "وأنا أنذرتـهم وشددت أذرعهم وهم يفكـرون على بالشر" {هو٧:١٥}. ويحثنا أن نقوي أنفسنا بقوله: "شددوا الأيادي المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها" {إش٣٥:٣}.

📖 ويصـرخ الـرب يسـوع: "إن عطـش أحـد فليقبـل إلــى ويشـرب" {يو٧:٣٧}. كما يصرخ النبي إليه: "تعبت من صـراخي، يـبس حلقـي. كلت عيناي من انتظار إلهي" {مز٦٩:٣}.

📖 الرب يطلبنا عندما يقول: "طلبته فما وجدته دعوته فما أجابني" {نش٥:٦}. والعروس أيضا تطلبه، إذ تبكي بدموع قائلة: "في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي، طلبته" {نش٣:١}.

📖 ١٣- الجهاد لا يفقد النعمة مجانيتها:

📖 هكذا تتعاون النعمة على الدوام مع إرادتنا لأجل نفعها، وتساعدها في كل شيء، وتحميها وتدافع عنها، وذلك بطريقة يظهر فيها أنها تبحث عن بعض الجهاد الذي للإرادة الصالحة، حتى لا تبدو أنها تهب عطاياها للإنسان الخامل المتراخي.

📖 وهي تبحث عن فرص لكي تكشف للإنسان الخامل، أنه باستكانته يفقد جود النعمة. مع هذا تحسب النعمة مجانية، لأنه من أجل جهاد تافه تمنح بغنى أمجاد الخلود، التي لا تقدر وبركات الأبدية.

📖 ليس لأن إيمان اللص جاء أولاً، يقول أحد أن عطية السكنى في الفردوس لم تمنح له مجانا.

📖 ولا يمكننا أن نقول أنه بسبب كلمات الملك داود التي نطق بها تائبا قائلا: "أخطأت إلى الرب" أنه بغير مراحم الله {المجانية}، قد وهب له الغفران من خطيتين خطيرتين، إذ وهب له أن يسمع من النبي ناثان: "الرب أيضا قد نقل عنك خطيئتك" {٢صم١٢:١٣}.

📖 حقيقة إنه أضاف القتل إلى الزنا، وهذا بالتأكيد بإرادته الحرة، لكن انتهار النبي له هو من حنو الله.

📖 كذلك انسحاقه واعترافه بالخطأ هذا من عمله هو، أما المغفرة عن هذه الخطايا في لحظة من الزمن، فهذا عطية من الرب الرحيم.

📖 ماذا نقول عن هذا الاعتراف المختصر، الذي نطق به داود وعن المكافأة الإلهية السرمدية منقطعة النظير، إذ نرى الرسول المبارك يثبت أنظاره بسهولة إلى عظمة المكافأة العتيدة مستهينا باضطهاداته غير المحصية قائلا: "لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر

ثقل مجد أبديا" {٢كو٤:١٧}.

📖 هذا ما يؤكده في موضع آخر قائلا: "فإني أحسب آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" {رو٨:١٨}.

📖 هكذا مهما بلغ جهاد الضعف الإنساني، لن يبلغ {بذاته} إلى المكافأة المقبلة. ووجود جهاده لا ينفي عن النعمة الإلهية كونها مجانية.

📖 لذلك فإن معلم الأمم قد بلغ درجة الرسولية بنعمة الله إذ يقول: "بنعمة الله أنا ما أنا"، وفي نفس الوقت يعلن أنه قد وافق النعمة الإلهية قائلا: "ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت أكثر من جميعهم" {١كو١٥:١٠}.

📖 فعندما يقول: "أنا تعبت" يظهر جهاد إرادته.

📖 وعندما يقول: "ولكن لا أنا بل نعمة الله" يشير إلى قيمة الحماية الإلهية. وعندما يقول: "التي معي" يؤكد تعاون النعمة معه، عندما لا يكون في كسل، أو إهمال، بل عاملا ومجاهدا.

📖 ١٣- كيف يختبر الله قوة إرادة الإنسان عن طريق التجربة؟

📖 أ. هذا أيضا ما نقرأ عنه، أن البر الإلهي قد أعان أيوب الأمين بحق في مصارعته، عندما ناهضه الشيطان في معركة فريدة.

📖 لكن لو تقدم أيوب ضد عدوه، ليس بقوته إنما بحماية نعمة الله مسنودا بالعون الإلهي من غير أي احتمال من جانبه، فإنه في خضوعه لهذه التجارب المتعددة.

📖 كم يكون للشيطان أن ينطق بعدل مفتريا بما سبق أن قاله قبلا: "هل مجانا يتقي أيوب الله؟! أليس أنك سيجت حوله ... حول كل ما له من كل ناحية؟! ولكن ابسط يدك الآن {أي اسمح لي أن أحاربه هو} "فإنه في وجهك يجدف" {أي١:٩-١١}.

📖 لكن إذ لم يستطع العدو المفتري أن يحتج بهذا بعد المعركة، لأنه

انهزم بقوة أيوب، وليس بقوة اللـه {يظهر من المقال في مجمله أنه لا يقصد تجاهل نعمة اللـه وقوته}.

🕮 لا بمعنى أن نعمة اللـه فارقت أيوب، لأنها هي التي أعطت للمجرب سلطانا أن يجربه، في الحدود التي كانت ترى فيها أن أيوب يقدر أن يقاومها، وفي نفس الوقت لم تحميه النعمة من هجمات العدو بطريقة تنزع فيها فضيلته وجهاده، إنما فقط هي تعينه.

🕮 بمعنى أنها لا تسمح لذلك العدو الذي هو في غاية القسوة أن ينزع عنه عقله، أو يغرقه أثناء ضعفه ببث أفكار فوق طاقته، أو النزول معه في نزاع غير متساو معه.

🕮 **ب.** أحيانا يرغب الرب أن يمتحن إيماننا لكي يتقوي، ويتمجد أكثر، وذلك كما في مثال قائد المئة الوارد في الإنجيل، إذ علم الرب أنه سيشفى خدامه بنطقه كلمة، ومع هذا اختار الرب أن يقدم له هذه الوسيلة، وهي ذهابه إليه بالجسد، قائلا: "أنا آتي وأشفيه" {مت٨:٧}.

🕮 وإذ غلب قائد المائة من هذا العرض الذي قدمه الرب، قال بإيمان مملوء غيرة وحرارة: "يا سيد لست مستحقا أن تدخل تحت سقفي، لكن قل كلمة فيبرا غلامي {عبدي}" {مت٨:٨}،

🕮 فتعجب الرب منه ومدحه ... فما كان يمكن أن يوجد له أساس للمديح والاستحقاق، لو أن السيد المسيح قد ميزه هكذا عن الذين آمنوا بما قد وهبه هو به {أي لو لم يكن لقائد المئة نصيب في الجهاد من جانبه}.

🕮 **ج.** نقرأ عن التجربة التي بقصد اختبار الإيمان التي جلبها البر الإلهي على العظيم في الآباء، إذ قيل: "وحدث بعد هذه الأمور أن اللـه امتحن إبراهيم" {تك٢٢:١}، لأن البر الإلهي أراد أن يمتحن ليس فقط الإيمان الذي أوحاه اللـه إليه ... بل وليظهر حرية إرادته.

🕮 لذلك فإن ثبات إيمانه لم يتزكى عبثا، وقد جاءت نعمة اللـه التي

فارقته إلى لحظة لتزكيته، جاءت تعينه إذ قيل لـه: "لا تمـد يـدك إلـى الغلام ولا تفعل به شيئا، لأني الآن علمت أنك خائف اللـه فلـم تمسـك وحيدك عني" {تك٢٢:١٢}.

📖 د. هذا النوع من التجربـة الـذي يمكـن أن يحـل بنـا لأجـل تزكيتنـا، أخبرنا عنه معطي الشريعة في سفر التثنية. "إذا قام في وسطك نبـي، أو حالم حلما، وأعطاك آية أو أعجوبة ولـو حـدثت الآيـة والأعجوبـة التي كلمك عنها قائلا: لنذهب وراء آلهة أخـرى لـم تعرفهـا ونعبـدها، فلا تسـمع لكـلام ذلـك النبـي أو الحـالم ذلـك الحلـم، لأن الـرب إلهكـم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكـم مـن كـل قلـوبكم ومـن كـل أنفسكم" {تث١٣:١-٣}.

📖 هل عندما يسمح اللـه بأن يقوم مثل ذلك النبي، أو يحدث ذلك الحلم، نقول بأنه سيحمي هؤلاء الذين يختبرون في إيمانهم بطريقة لا يكـون لهم فيها حرية إرادة، حيث يحاربون المجرب بقوتهم؟

📖 وما الحاجة لتجربتهم إن كان اللـه يعلم أنهم هكذا ضعفاء وواهنـين، حتـى أنهم لا يقدرون بقوتهم أن يقاوموا المجرب؟

📖 بالتأكيد ما كان للبر الإلهي أن يسمح لهم أن يجربـوا مـا لـم يعلـم أن فيهم قوة معادلة للمقاومة، بها يمكن أن يحكـم علـيهم حكمـا عـادلا إن وجدوا مستحقين للعقاب أو التكريم.

📖 يتكلم الرسول أيضا عن نفس النتيجة قـائلا: "إذا مـن يظـن أنـه قـائم لينظر أن لا يسقط. لـم تصـبكم تجربـة إلا بشـرية. ولكـن اللـــه أمـين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بـل سـيجعل مـع التجربـة أيضا المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" {١كو١٠:١٢،١٣}.

📖 لأنه عندما قال: "من يظن أنه قائم فلينظـر ألا يسـقط" أعطـى إرادة حرة من جانبه، إذ يعلم بالتأكيد أنه بعد ما نال النعمـة يمكـن أن يثبـت

بالجهاد، أو يسقط خلال الإهمال.

🕮 لكن عندما أضاف: "لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون" يوبخ ضعفهم وخوار قلبهم الذي لم يتقو بعد، إذ لم يستطيعوا بعد أن يقاوموا هجمات قوات الشر الروحية، تلك القوات التي يحارب ضدها هو وغيره من الكاملين كل يوم.

🕮 إذ يقول لأهل أفسس: "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات" {أف٦:١٢}.

🕮 وعندما أضاف: "ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون" بالتأكيد لا يعني أنه لا يدعهم يجربون، إنما لا يجربوا فوق طاقتهم. فالعبارة الأولى تشير إلى إرادة الإنسان الحرة والأخرى إلى نعمة الله الذي يلطف من عنف التجارب.

🕮 إذن في كل هذه العبارات توجد براهين أن النعمة الإلهية تعمل في إرادة الإنسان لا لكي تحميها وتدافع عنها في كل الأمور بطريقة تجعلها لا تدافع عن نفسها بجهادها ضد الأعداء الروحيين، ينسب النصر إلى نعمة الله والهزيمة إلى ضعف الإرادة.

🕮 **مثال توضيحي:**

🕮 إن أردنا أن نوضح مراحم خالقنا التي لا نظير لها من أمور أرضية، ليست مساوية لها في الحنو بل لمجرد التوضيح، فإنها تشبه مربية غاية في الاهتمام تحمل طفلا في حضنها لمدة طويلة، فلكي تعلمه المشي عوض الحبو، تساعده بمد يدها اليمنى لكي يستند عليها أثناء تبديل قدميه، وفي لحظة تتركه قليلا، فإذا ما رأته يتطوح بشدة تمسك به بسرعة، وإذ تراه يسقط تخطفه وترفعه وتحميه من السقوط أو تسمح له أن يسقط سقطة خفيفة لترفعه بعدما يكبو.

🕮 لكن عندما تربيه حتى إلى الصبوة، أو قوة الشباب، أو الرجولة

المبكرة، فإنها تعطيه بعض الأحمال والأثقال لا لكي تهلكه إنما لتمرنه، وتسمح له أن يتنافس مع من هم في عمره.
🕮 كم بالأكثر الأب السماوي الذي هو أب الجميع يعرف كيف يحمل الإنسان في حضن نعمته، لكيما يدربه على الفضيلة أمام نظره، بواسطة تدريب إرادته الحرة، ومع ذلك يساعده في جهاده ويسمع له عندما يدعوه، وأحيانا ينتشله من المخاطر حتى بغير معرفته.

🕮 ١٤- أنواع دعوة النعمة للبشرية:

🕮 بهذا يتضح بوضوح أن الله بواسطة أحكامه التي لا تستقصي، وطرقه البعيدة عن الفحص {رو١١:٣٣} يجذب البشرية إلى الخلاص.
🕮 ويمكننا أن نبرهن على هذا بأمثلة من الدعوات الواردة في الأناجيل. اختار الرب أندراوس وبطرس وبقية التلاميذ بواسطة حنو نعمته المجانية، بينما كانوا لا يفكرون في شفائهم وخلاصهم.
🕮 حينما سعى زكا – قبل إيمانه – ليرى الرب معالجا قصر قامته باعتلائه الجميزة، فلم يستقبله الرب فحسب، بل وكرمه وشرفه بالذهاب معه إلى مسكنه.
🕮 بولس أيضا بغير إرادته، وفي مقاومته جذبه الرب إليه.
🕮 وآخر أمره الرب أن يتبعه ويلتصق به تماما، حتى عندما سأله أن يؤجل ذلك قليلا ليدفن والده، لم يسمح له بذلك.

🕮 بالنسبة لكرنيليوس إذ كان على الدوام يثابر على الصلوات والصدقات أظهر له طريق الخلاص كمكافأة له، وبواسطة زيارة الملاك له أمره أن يستدعي بطرس ويتعلم منه كلمات الخلاص التي بها يمكن أن يخلص هو وكل بيته.
🕮 هكذا تهب حكمة الله من جوانب متعددة الخلاص للبشر بطرق متنوعة، وحنوه الذي لا يستقصى، ويعلن لكل واحد حسب طاقته نعمة جوده، حتى أنه يريد أن يهب شفاءه ليس حسب مقياس محدد

لقوة جلاله، إنما حسب مقاييس الإيمان التي يجدها في كل واحد، أو حسبما يعطي هو بنفسه كل واحد.

📖 لأنه عندما آمن شخص أنه لأجل برئه من البرص تكفيه إرادة المسيح وحدها لشفائه قال للرب: "أريد فأطهر" {مت٨:٣}.
📖 وعندما توسل آخر أن يأتي الرب ويقيم ابنته الميتة عن طريق أن يمسكها بيده. دخل لرب منزله كما ترجى ذلك ووهب له ما قد سأله.
📖 وآخر آمن أن ما هو رئيسي لخلاصه يتوقف على مجرد أمر {كلمة} من فم الرب وأجاب: "قل كلمة فيبرأ غلامي {خادمي}" {مت٨:٨}، قال له: " اذهب وكما آمنت ليكن لك " {مت٨:١٣}.

📖 وآخرون إذ ترجوا الشفاء من لمس هدب ثوبه، وهبهم عطية الشفاء العظيمة. البعض عندما سألوه وهبهم الشفاء من أمراضهم. وآخرون قدم لهم الشفاء من غير أن يسألوه.
📖 وآخرون حثهم لكي يطلبوا ذلك قائلا: "أتريد أن تبرأ؟" {يو٥:٦}.
📖 وآخرون عندما كانوا بلا رجاء أعانهم من تلقاء نفسه.
📖 إنه يطلب إرادة البعض قبل أن يشبع احتياجاتهم قائلا: "ماذا تريدان أن أفعل بكما" {مت٢٠:٣٢}.
📖 وبالنسبة لأخرى لم تكن تعرف الطريق لتحقق ما ترغب فيه، أظهر لها الطريق في حنو قائلا: "إن آمنت ترين مجد اللـه" {يو١١:٤٠}.
📖 سكب أعماله الشفائية على البعض كقول الإنجيلي: "وشفى مرضاهم" {مت١٤:١٤}.

📖 لكن بالنسبة لآخرين توقفت عطايا اللـه التي لا تحد إذ قيل: "ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة ... وتعجب من عدم إيمانهم" {مر٦:٥،٦}. وهكذا يظهر أن جود اللـه فعلا، يتوقف على طاقة الإيمان حتى أنه قيل: "بحسب إيمانكما ليكن لكما" {مت٩:٢٩}،

📖 ولآخر قيل: "اذهب وكما آمنت ليكن لك "{مت٨:١٣}، ولآخر "ليكن لكِ كما تريدين" {مت١٥:٢٨}، وأيضا: "إيمانك قد شفاك" {لو١٨:٤٢}.

📖 ١٥- النعمة الإلهية تسمو بالحدود الضيقة التي للإيمان البشري:

📖 ليته لا يتصور أحد أننا قدمنا هذه الأمثلة لكي ننسب النصيب الأكبر من خلاصنا على إيماننا نحن، وذلك كما يظن البعض بتصورات أرضية، هؤلاء الذين ينسبون كل شئ لحرية الإرادة، قائلين أن نعمة الله توزع حسب استحقاقات كل إنسان.

📖 وإنما نؤكد بوضوح رأينا الذي يعلن بجلاء لبس، أن نعمة الله غاية في السمو والوفرة، وأحيانا توسع الحدود الضيقة لنقص الإيمان البشري. نذكر ما حدث في حالة الحاكم الوارد في الإنجيل، الذي آمن أنه من الأسهل أن يشفي له ابنه من مرضه، عن أن يقيمه من الموت مستعجلا الرب ليذهب إليه في الحال قائلا: " يا سيد انزل قبل أن يموت ابني " {يو٤:٤٨}،

📖 ولو أن الرب وبخه لقلة إيمانه بهذه الكلمات: "لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب"، إلا أنه لم يعلن نعمة لاهوته قدر ضعف إيمان الرجل، ولا نزع مرض الحمى المميت بحضور الرب بالجسد كما أراد الرجل، إنما بكلمة قوته قال له: "اذهب. ابنك حي" {يو٤:٥٠}.

📖 نقرأ أيضا أن الرب سكب من غنى نعمته الغنية في حالة شفاء المفلوج، الذي وإن كان قد سأل من أجل شفاء جسده، إلا أنه وهبه شفاء النفس أولاً بقوله: "ثق يا بني. مغفورة لك خطاياك" {مت٩:٢}.

📖 وإذ لم يصدقه الكتبة أنه يقدر أن يغفر خطايا البشر، شفى أعضاء الرجل بقوة كلمته نازعا مرض الفالج بالقول: "لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟ أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك. أو أن يقال قم وأمش. ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا، حينئذ قال للمفلوج: قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك"

{مت٩: ٤-٦}.



🕮 بنفس الطريقة في حالة الإنسان الذي كان ملقيا ٣٨ سنة بجوار حافة البركة، مترجيا الشفاء من حركة الماء، فقد أظهر غنى جوده له من غير أن يسأله. فعندما رغب أن يقيمه قال له: "أتريد أن تبرأ" {يو٥: ٦}.

🕮 وعندما اشتكى من عجز المعونة البشرية قائلا: "ليس لي إنسان يلقيني في البركة متى تحرك الماء" {يو٥: ٧}، وهبه الرب في حنوه العفو عن عدم إيمانه وجهله وأبرأه وأعاده إلى صحته الأولى، ليس كما كان يتوقع، بل كما يريد الرب نفسه قائلا له: "قم. احمل سريرك وأمش" {يو٥: ٨}.

✞ ✞ ✞

ملخص المبادئ

🕮 الطهارة الداخلية عطية مجانية تهبها النعمة الإلهية، وهي لا تعطى إلا للمجاهدين المثابرين بقلب منسحق.

🕮 نعمة السيد المسيح حاضرة بين أيدينا كل يوم ... غايتها وعملها أن تجتذب كل الناس لكي يخلصوا.

🕮 الجهاد والنعمة طريق واحد ... فهما متلازمان لا يمكن فصلهما، لأن الجهاد الحقيقي لا يمكن القيام به بغير النعمة، ولا النعمة تعمل في المتراخين.

🕮 فلا عجب إن رأينا الله يأمرنا بوصايا معينة لتنفيذها ... وفي نفس الوقت نطلب نحن في جهادنا أن ينفذ الله ما أمرنا به في حياتنا.

🕮 ونذكر في ذلك الأمثلة التالية:

🕮 الله يأمرنا: "اقتربوا إلى الله" {يع٤: ٨}،

🕮 و "تعالوا إلى يا جميع المتعبين" {مت١١: ٢٨}،

📖 في نفس الوقت لا يقدر أحد أن يأتي إليه "ما لم يجتذبه الآب" {يو٦:٤٤}. الوصية تقول: "مهد سبيل رجليك" {ام٤:٢٦}،

📖 ونحن نطلب من اللـه أن "يسهل لنا الطريق" {مز٥:٨}.
📖 الوصية تأمر: "اطرحوا عنكم كل معاصيكم" {حز١٨:٣١}.
📖 ونحن نطلب عمل اللـه، القادر وحده أن ينزع عنا القلب الحجري {حز١١:١٩،٢٠}. الرب يأمر: "اغسلي من الشر قلبك" {إر٤:١٤}،
📖 ونحن نصرخ إليه: "طهرني بالزوفا فأطهر" {مز٥١:٧}.
📖 الوصية تقول: "ازرعوا لأنفسكم نور المعرفة" {هو١٠:١٢}،
📖 والكتاب يعلمنا أن اللـه هو "المعلم الإنسان معرفة" {مز٩٤:١٠}.
📖 الوصية تطلب: "فوق كل تحفظ احفظ قلبك" {أم٤:٢٣}،
📖 مع أن "سلام اللـه الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم" {في٤:٧}.
📖 الوصية تنادي: "انحلي من ربط عنقك" {إش٥٢:٢}،
📖 مع أن "الرب يطلق الأسرى" {مز١٤٦:٧}.
📖 باختصار يطالبنا الرب على لسان رسوله: "اركضوا لكي تنالوا" {١كو٩:٢٤}، وفي نفس الوقت يقول: "لا يقدر أحد أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعكي من السماء".

📖 على كل فإن عمل اللـه لا يُقيد، بعيد عن الفحص وفوق كل استقصاء، ولا يمكننا أن نقول أيهما يبدأ أولاً الجهاد أم النعمة، ولا تتوقف نعمة اللـه في سخائها على طريقة واحدة، فهناك طرق كثيرة منها: اختيار اللـه – بحنو نعمته المجانية – أندراوس وبطرس ... من غير أن يفكروا في شفائهم وخلاصهم.
📖 اختار زكا لأنه كان يناهض، ويبحث ليرى يسوع من هو.
📖 جذب بولس بغير إرادته، وهو مقاوم للرب.
📖 جذب آخر ليتبعه مانعا إياه أن يذهب ويدفن أباه. أعلن ذاته ورسالته لكرنيليوس، من أجل مثابرته على الصلوات والصدقات.



النعمة الإلهية تهب الإنسان حسب طاقة إيمانه:

- فمن كان يكتفي أن يريد الرب له الشفاء ليشفى كان يقول له: "أريد فأطهر".
- ومن كان يطلب كلمة من فم اللـه يقول له: "كما آمنت يكون لك".
- ومن يؤمن بلمس هدب ثوبه يشفى، هكذا حسب إيمانه هذا يشفى.
- ومن يطلب أن يأتي الرب إلى بيته ويمسك بيد مريضه ... هكذا قدر إيمانه يهبه.

أحيانا توسع النعمة حدود إيماننا الضيقة:

- فالرجل الذي طلب من الرب أن يسرع لئلا يموت ابنه ... أعطاه شفاء ابنه من غير ن يذهب معه.
- ومرثا التي قالت له: "لو كنت ههنا لم يمت أخي" {يو١١: ٢١}، أقام لها لعازر أخيها بعدما أوضح لها إمكانياته أنه هو القيامة.
- أحيانا يهب الرب نعمته من غير أن نسأله ... كما فعل مع مريض بيت حسدا الذي ذهب إليه بنفسه وسأله: "أتريد أن تبرأ".
- وأحيانا يمتنع عن تقديم نعمته بسبب عدم الإيمان.
- أخيراً فإن نعمة اللـه تعمل في المجاهدين وتعينهم، دون أن تفقدهم حرية إرادتهم حتى يتكللوا، هذا الجهاد مهما بلغ قدره لا ينفي عن النعمة مجانيتها.

كتاب القديس يوحنا كاسيان ـ حماية الله للأب شيريمون ـ صفحة ٢٤٩ ـ ٢٦٢



📖 **١٤٠-** البعض عندما يطيع الوصايا بنشاط، يتوقعون أن هذا يفوق خطاياهم، والبعض الآخر الذين يطيعون الوصايا بدون هذا الافتراض الجريء، يربحون نعمة الذي مات. يجب علينا أن نفكر فيمن منهما على صواب.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٣٥